الرسالة

(٢ تيموثاوس ٢: ١–١٠)

يا ولدي تيموثاوُسَ تَقوَّ في النعمةِ التي في المسيحِ يسوع* وما سمعتَهُ مني لدى شهودٍ كثيرينَ استَوْدِعْهُ أُناساً أُمناءَ كُفوًّا لأن يُعلِّموا آخرينَ أيضاً* إحتَمِلِ المشقّاتِ كجنديٍّ صالحِ ليسوعَ المسيح* ليسَ أحدٌ يتجنَّدُ فيرتبكُ بهموم الحياة. وذلك ليُرضي الذي جنَّدهُ* وأيضاً إنْ كانَ أحدٌ يُجاهِدُ فلا ينالُ الإكليلَ ما لم يُجاهِد جِهاداً شرعياً* ويجب أنَّ الحارثَ الذي يتعبُ أن يشتركَ في الأثمار أولاً* إفهم ما أقولُ. فليؤتِكَ الرّبُّ فهماً في كلِّ شيء* أُذكُرْ أنَّ يسوعَ المسيح الذي من نسلِ داودَ قد قامَ من بينِ الأمواتِ على حسبِ إنجيلي* الذي أحتملُ فيه المشقّاتِ حتى القيودَ كمجرم إلاَّ أنَّ كلمةَ اللهِ لا تُقيَّدُ* فلذلك أنا أصبُرُ على كلِّ شيءٍ من أجلِ المختارينَ لكي يحصُلوا هم أيضاً على الخلاصِ الذي في المسيحِ يسوع مع المجدِ الأبدي.

حول الرسالة

يُقرأ في الكنيسة هذا اليوم مقطع من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى ابنه في الإيمان تيموثاوس، وهو المقطع الذي خصصه الترتيب الليتورجي لعيد القديس الشهيد ديمتريوس.

يرجّح الباحثون أن يكون الرسول بولس قد كتب رسالته هذه من أسره الثاني المتزامن مع حملة الاضطهادات التي أشعلها نيرون بين العامين ٦٤ و٦٨ للميلاد. دليلنا على هذا القول غنى الرسالة بعبارات التشجيع على احتمال المشقات والتذكير بقيامة المسيح الظافرة وبأجر المجاهدين الأمناء. هذا بالإضافة إلى عبارة «احتمل المشقات حتى القيود كمجرم» التي تذكّر بظروف الأسر الثاني الذي قاساه بولس، ولا سيما أن الرسول في أسره الأول كان تحت الإقامة الجبرية في منزل استأجره بماله الخاص، وكان له أن يستقبل فيه من يشاء.

وصية القديس بولس إلى ابنه تيموثاوس، والتي تنسحب عبره على كل مسيحي مؤمن رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة، تحث السامع على أن يتقوّى «بالنعمة التي في المسيح يسوع». أي أن يؤدي قسطه بالقرار الملتزم والثبات في الجهاد، ونعمة الرب تؤازره إلى الظفر، إذ إن «مصارعَتَنا ليسَتْ مع دمٍ ولحمٍ بل معَ الرؤساءِ معَ السلاطينِ معَ ولاةِ العالمِ على ظلمةِ هذا الدهرِ مع أجنادِ الشَّرِّ الروحيَّةِ في السماويات» على حد تعبير القديس بولس في موضع آخر (أف ٦:١٢).

العدد ٢٠٠٣/٤٣

الأحد ٢٦ تشرين الأول

تذكار القديس المعظم في الشهداء

ديمتريوس المفيض الطيب

وتذكار حدوث الزلزلة العظيمة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

يخبرنا سفر أعمال الرسل أن التلاميذ أُحبطوا وخارت عزيمتهم بعد صلب السيد، ولكنّهم بعدما رأوه قائماً عادوا فتشددوا وألهبوا الأرض بكلمة الخلاص. نفهم من رسالة اليوم أن تيموثاوس كان في ضيق بسبب الاضطهادات، ويزيد من ضيقه أسر معلّمه (بولس) ومعاناته المشقات والقيود «كمجرم». المسيحيون متى قست أحوالهم يتضايقون، وقد يكون هذا مشروعاً. لكن ما ليس مقبولاً بحسب الإنجيل أن يتخاذل المسيحي في الجهاد، فيكون إذذاك قد آثر الخضوع لـ«ولاة العالم» على نعمة المسيح يسوع التي تضمن له الظفر مكافأة لسعيه.

«ما سمعته مني لدى شهود

كثيرين...» تعني أن البشارة وصلت إليك أيها المؤمن جهاراً، والذين آمنوا وعملوا بها ونقلوها، إن كان بالقول أو بالمثال، ما استحوا بها ولا تنكّروا لها. حسبهم أن يبقوا أمناء لسيدهم وهو يشهد لهم أمام أبيه السماوي. ولاستمرار الأمانة، يقول لنا الرسول أن **نودع** التعاليم «أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا كثيرين». اختيار الرسول لفعل «الإيداع» ليس عرضياً، بل للإشارة الصريحة إلى أن ما يودع عادة إنما هي الكنوز والأشياء التي يُخشى عليها من الفقدان أو التلف. أي يجب أن يتنبّه المؤمن إلى أن ما بين يديه من عقائد إيمانية وتعاليم هي أمانة في عنقه سوف يُسأل عنها في اليوم الأخير. أما تكملة الآية فلا تبتغي دفع المؤمن إلى تقييم الناس حوله وفرزهم بين أمين وغير أمين، بل التشديد على الأمانة لما جاهد من أجله الكثيرون حتى الدم، وتجاهد الكنيسة حتى انتصارها الأخير.

«فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح للمسيح»، يقول لنا القديس بولس اليوم. احتمال المشقات بالنسبة للجندي أمر طبيعي، وهو إذ تجنّد إنما اختار هذا الدرب مدركاً أن دمه برسم الإراقة في أي وقت. أما لماذا اختار هذه الدرب، فلأنه «صالح» وليس مرتزقاً ويعي أن موضوع إيمانه يستحق منه التضحيات. إن كانت هذه هي حال المتجنّدين لملك أرضي أو فكر زمني اعتنقوه، فما تكون بالحري حال الذين تجندوا للمسيح يسوع ملك السماء والأرض وهو الحقيقة الأبدية؟ هؤلاء يعتبرون انضواءهم تحت راية المسيح كرامة ما بعدها كرامة، ويزيدهم شرفاً الاقتداء بسيدهم وبسمات جهاداته، وهم بلا ريب صالحون. من هم هؤلاء الجنود؟ هم كل مسيحي اتّخذ بالمعمودية «خوذةَ الخلاص وسيفَ الروحِ الذي هو كلمةُ اللهِ» (أف ٦:١٧).

يشدِّد الرسول على أن «ليس أحد وهو يتجنّد يرتبك بأعمال الحياة...». الجندي في ساحات القتال ينهزم ما إن يشتت ذهنه عن مجريات المعركة من حوله. المسيحي المجاهد لا يشيح بناظريه عن الهدف الأسمى وهو الظفر الأخير، لأن غاياته الذاتية لا قيمة لها وهو لا يقاتل من أجل ذاته بل من أجل «الذي جنّده».أي لا ابتغاء لمجد ذاتي بل إكراماً لوجه القدّوس، وحسبه رضى سيده مجداً. أما أن المجاهد «لا يُكلّل إن لم يكن جهاده قانونياً»، فيقول آباؤنا القديسون أن الجهاد المُجدي يكون بحسب مبادئ وتعاليم مدرسة الجهاد التي هي الإنجيل، هذه المبادئ والتعاليم المعاشة في حياة الكنيسة ومسعاها نحو المسيح سيدها. ذلك أن الإكليل يأتي هبة من جود الله، ولا فضل لنا فيه البتة. تحضرنا في هذا السياق حادثة من سيرة أبينا البار أنطونيوس الكبير (راجع السنكسار، ١٧ كانون الثاني). ففي أحد الأيام هاجمت الشياطين أبينا البار بشكل وحوش ضارية وبقي يقارعها حتى انهزمت هاربة، بعدما أثخنته ضرباً وجراحاً. إذ ذاك وهو طريح الأرض رفع عينيه إلى السماء وقال: «لمَ تركتني يا رب أواجه الأشرار وحدي»؟ فسمع صوت السيد العذب يقول له: «كنت أنظر إليك وأفرح بجهاداتك». بالعودة إلى الرسالة نلفت القارئ إلى أن القديس بولس استعمل للتشبيه مَثَلين هما الجندي والمصارع، مشيراً بالأول إلى جهاد الدم، وبالثاني إلى الصلابة وقوة الاحتمال.

لو اكتفى الرسول بسرد متاعب الجهاد الروحي ومشاقّه لأمسى التعليم مُحبطاً. لكنه يستطرد للتو موضحاً أن «الحارث (الفلاح) الذي

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧–٣٩)

في ذلك الزمانِ أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرْجُسيينَ فاستقبلهُ رجلٌ مِنَ المدينة بهِ شياطينُ منذُ زمانٍ طويل ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبورِ* فلمَّا رأى يسوعَ صاحَ وخرَّ لهُ وقال بصوتٍ عظيم ما لي ولك يا يسوعُ ابنُ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعَذِّبَني* فإنَّهُ أمرَ الروحَ النجسَ أنْ يخرُجَ مِنَ الإنسانِ لأنَّهُ كان قد اخْتَطَفَهُ منذ زمانٍ طويل وكان يُربَطُ بسلاسِلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطان إلى البراري*فسأله يسوعُ قائلاً ما اسمُك. فقال لَجيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيهِ* وطلبوا إليه أن لا يأمُرَهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليهِ أن يأذَنَ لهم بالدخول فيها فأذِنَ لهم* فخرجَ الشياطينُ مِنَ الإنسانِ ودخلوا في الخنازير فوثب القطيعُ عَنِ الجُرفِ إلى البُحيرَةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرُّعاةُ ما حدثَ هربوا فأخبروا في المدينة وفي الحقول* فخرجوا ليرَوا ما حدثَ وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منهُ الشياطينُ جالساً عند قَدَمَيْ

يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبْرِئَ المجنونُ* فسألهُ جميعُ جمهورِ كورةِ الجُرجُسيينَ بأن يَنصرِفَ عنهُمْ لأنَّهُ اعْتراهُم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجعَ* فسألهُ الرجُلُ الذي خرجَتْ منهُ الشياطينُ أنْ يكونَ معهُ. فصرَفهُ يسوعُ قائلاً إرجِعْ إلى بيتك وحدّثْ بما صنعَ اللهُ إليك. فذهبٍ وهو ينادي في المدينة كلّها بما صنعَ إليهِ يسوعُ.

تأمل

كما ان اللصوص وقُطّاع الطريق إذا رأوا التجّار قد شدُّوا الأحمال وحزموا البضائع وأكثروا من الأمتعة النفيسة يجمعون الرجال ويعدّون الأسلحة ويكمنون في الكهوف والمغاور ويحتالون على سلب أموالهم بكل حيلة. كذلك يصنع الشياطين إذا رأوا جهادكم وإكثاركم من الصوم والصلاة والطهارة والرحمة وباقي أنواع الفضيلة. فإنهم يحسدون صنيعكم ويحتالون على سلب كنوزكم. ويا للعجب من كوننا نرى المسيح يشفي أمراضنا المزمنة ويخرج الشياطين المَرَدة ويعلمنا إدّخار الفضيلة ونحن لا نتعلّم.ولهذا ينبغي لنا أن نتيقّظ من نومنا ونكثّر أسلحتنا ونحصّن يتعب يشترك هو أولاً في الثمار» فالذي تعب في إصلاح أرض سيده وتأهيلها للإثمار، إنما هو لا يعمل من أجل نفسه بل من أجل سيد الأرض وكل الذين من ثمارها سوف يتغذون. من عمل في حقل السيد وساهم في إثمار البشارة، إن بالتعليم أو بمجرد المثال الصالح، هذا لا يتركه الله بلا أجر بل يكرِّمه بأولى الثمار. بمعنى آخر إن المؤمن الساعي إلى عيش الملكوت تأتيه الثمار الروحية أولاً بأول، وهو في خضم سعيه يتذوّق الخيرات الآتية. ويزيدنا بولس الحكيم تشجيعاً بل تحفيزاً بذكره قيامة المسيح الظافرة الموعودة لكل مجاهد أكمل السعي على مثال المسيح، علّنا متى تذكّرنا وعد القيامة تسهل علينا المشاق وتهون. مما لا ريب فيه أن القديس بولس يأتي هنا على ذكر القيامة دحضاً للذين باتوا لا يؤمنون بها، وهؤلاء ليسوا محصورين في زمان الرسول وحسب. إن غُصنا في أعماق نفوسنا قد يتبيّن لنا أن إيماننا بالقيامة ليس متجذراً كفاية. خوف الإنسان من الموت، يقول القديس مكسيموس المعترف، يجعله يسخّر الطاقات الإلهية المخلوقة فيه لخدمة نواميس الأرض. المؤمن بالقيامة لا يخاف الموت، ومتى تجذر الإيمان بالقيامة في قلوبنا لا نعود نغترّ بما يلهينا به العالم عن الله.

مرة جديدة تعود على لسان الرسول فكرة نكران الذات في الجهاد، إذ يقول إنه يصبر على مرارة الأسر والمشقات كلها لا من أجله بل من أجل المختارين. ليست هذه حال الرسول بولس وحده، بل هي حال المؤمن عموماً. المؤمن الحقيقي يلتهب حماساً في كل وقت لأنه يوقن أنه شريك لله في الخلاص. قد يبدو هذا الكلام كبيراً، لو لم يقل الرب يسوع نفسه إن المؤمنين هم ملح الأرض ونور العالم، ويقصد أن بهم يتطهّر العالم ويتنكه ويستنير.

خطيئة المسيحيين الكبرى هي أن يتخاذلوا في جهادهم متى قست عليهم الدنيا. عدو الإنسان هو عدو المسيح، وهو ما انفك يسعى إلى النخر في بناء المسيح، وشهوة قلبه أن ينهار البناء. المسيح لن يزيد أو ينقص إن زاد المسيحيون أو نقصوا، جسد المسيح لن يتداعى وإن تداعى المسيحيون. المسيح هو الملك الأبدي الذي لا فناء لملكه، ووعده لنا أننا «إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢تيمو ٢:١٢).

معرفة المسيح

«فأنتم أيُّها الأحِبَّاء إذ قد سبقتم فعرفتم احترسوا مِنْ أن تنقادوا بضلال الأردياءِ فتسقطوا مِنْ ثباتِكم، ولكن انمُوا في النِّعمةِ وفي معرفةِ ربِّنا ومخلّصنا يسوعَ المسيحِ» (٢بط ٣: ١٧–١٨).

بهذه الكلمات يحذّرنا الرسول بطرس من الانقياد وراء ضلال الأردياء فنجعل لنا «آلهة» أخرى نسير وراءها وننسى الرب. وحده مَنْ عرف المسيح وذاق فعلاً حلاوة عشرته يحترس من الانقياد وراء الضلال. هناك أمور كثيرة في عالمنا اليوم، وقد لا تكون مسيئة في جوهرها، تبعدنا أو لنقل تلهينا عن النمو في النعمة، عن النمو في المسيح. قد نتلهى بالعمل ليل نهار لتأمين المعيشة وننسى الرب يسوع، وقد ننقاد وراء الخلاعة وننسى يسوع. نحن لا نساوي بين الأمرين، لكن المشكلة واحدة: اننا نتلهى فلا ننمو في الرب ونعمته.

النمو في المسيح يتطلّب معرفته. وأول وجه للمعرفة الأصلية للمسيح، بعد أن أخرج من قوقعة ذاتي، هي أن أعرفه وأقبله كـ«شخص مميِّز». هناك

دائماً مميَّز يحتل مركزاً مهماً في حياة الإنسان، فيصبح هذا الشخص مثاله الأعلى ومصدر وحيه، يعتمد عليه ويتبعه، يحترمه ويميل إلى محاكاته أو تقليده. وقد يصل الأمر إلى حد التضحية بالذات من أجل المبادئ والقيم التي نادى بها هذا المميَّز. لا يوجد شخص ليس لديه «شخص مميَّز»، وفي بعض الحالات كانت النتائج مأساوية بسبب اختيار «مميَّز» مزيَّف وشرير.

معرفة المسيح كمميَّز تعني أن نختاره بوعي وتصميم على انه الآخر فوق كل آخر، ولا يمكن استبداله، ونعتبره النموذج والمثال للكمال البشري. هكذا يصير الصورة الواضحة لطموحاتنا والتعبير الأفضل لما نحلم أن نكون. يصبح شخصه مرشدنا ويقودنا نحو التحوّل لنصير على صورته ومثاله. وبكلام الرسول بولس: «مع المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ» (غلا ٢:٢٠). عندما نقبل الرب يسوع المسيح كمميَّز لنا، يصير هو ركيزتنا الأساسية الأزلية التي لا تتغيَّر، ومقياس قيمنا وأولوياتنا وأفكارنا في عالم كل شيء فيه يتغيَّر، في عالم ليس فيه شيء ثابت إلا الله الذي «هو هو أمساً واليومَ وإلى الأبدِ» (عب ١٣:٨).

إذاً، الشرط الأساسي لمعرفة المسيح هو أن نقبله ونتخذه مرجعاً ومرتكزاً في كل القيم والمسائل التي تتعلَّق بحياتنا وموتنا. ومتى صار يسوع مرجعنا ورجاءنا وعليه نضع كل اتكالنا فلن يخذلنا أبداً. القديس بوليكربوس أسقف إزمير، تلميذ القديس اغناطيوس الإنطاكي، في القرن الثاني الميلادي رفض نكران المسيح رغم خطر الموت بقوله: «ستة وثمانون سنة وأنا أخدم المسيح ولم يظلمني في شيء فكيف أستطيع أن أهين مَلِكي ومخلصي؟» (من سيرة استشهاده).

خيبات الأمل تصيبنا كل يوم من مختلف الجهات. وحده يسوع لا يخيِّب الآمال. المهم أن تقبله مميَّزاً وتسير نحوه. كم شاب وشابة اتخذ القرار الصحيح واختار المسيح مميَّزاً وقبل تعاليم يسوع لتخلّصه؟

(يتبع)

عيد القديس نكتاريوس

بمناسبة عيد القديس نكتاريوس تُقام عند الخامسة من مساء السبت ٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣ خدمة صلاة الغروب ويليها خدمة البراكليسي للقديس في كنيسة دير القديسة كاترينا في مدرسة زهرة الاحسان.

سوق الغرب

يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢ تشرين الثاني في كنيسة دير القديس جاورجيوس - سوق الغرب. بعد القداس سوف يبارك سيادته حجر الأساس لمركز الشبيبة والمؤتمرات والخلوات الروحية الذي بدأ العمل به في التاسع من آب الماضي إلى جانب الكنيسة.

أمسية مرتلة

تحيي جوقة مدرسة الموسيقى الكنسيَّة في أبرشية بيروت أمسيَّة مرتلة، عند السابعة من مساء الجمعة ٣١ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس ـ الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

مدينتنا ونستوثق من الأبواب والمنافذ ونقيم الحُرَّاس على الطرق والشوارع لئلاَّ يجد العدوُّ سبيلاً لاقتناصنا ومدخلاً لنهب أمتعتنا. فإن قلت كيف يجد سبيلاً إلى الدخول علينا بعد هذه المحافظة أقول انه إذا رآك صعب الانقياد إلى الرذيلة طاهر العِرْض حافظ الوصايا متمسكاً بأذيال العفَّة منحرفاً عن طريق اللذَّات والسَرَف والتنعُّم مكملاً مناقب الفضيلة فإنه حينئذٍ يشتعل بنار الحسد ويقدح زناد المكيدة وينصب اشراك الحِيَل ويهيّج في قلبك عواطف الافتخار بالفضيلة واكتساب المديح من الناس ومحبَّة المجد الباطل،لعلمه بأن الذي يعمل الفضيلة ليقبل المديح من الناس يخيب من المجد الذي من الله. ولذلك تقدَّم المحبُّ لجنسنا والعالم بضعف طبيعتنا فأيقظ عقولنا وثقَّف أذهاننا وضرب لنا الأمثال على ذلك وفاوضنا بالتعاليم فقال لا تصنعوا برَّكم قدام الناس فإن الذين يظهرون صيامهم ويراؤون بصلواتهم يصنعون مراحمهم علانيةً لتصيُّد المجد الباطل. الحقَّ أقول لكم انهم قد أخذوا أجرهم. كما ضرب لنا مثل الفرّيسي والعشَّار...

القديس يوحنا الذهبي الفم